مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

اسم المقال: صورة المتطرف في رواية "عرق بلدي" لمحمد المزيني بين التشكل والتفكك
اسم الكاتب: ليلى شعبان رضوان
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/9399
تاريخ الاسترداد: 2026/11/01 16:32 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة

مجلة علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية



المجلد 21، العدد 4
جمادي الثاني 1446هـ / ديسمبر 2024م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

ديسمبر 2024م **مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية** المجلد 21 العدد 4
https//:doi.org/10.36394/jhss/21/4/12

صورة المتطرف في رواية "عرق بلدي" لمحمد المزيني
بين التشكل والتفكك

ليلى شعبان رضوان[1]

تاريخ الاستلام: 14-05-2023 **تاريخ القبول: 22-06-2023**

ملخص البحث:

يتغيا البحث استجلاء صورة المتطرف في رواية "عرق بلدي" لمحمد المزيني التي قاربها سردياً في قالب إبداعي فني، ركّز فيها على الشكل الخارجي وانعكاساته في دواخل نفسه، وبيّن الأسباب والدوافع التي تودي بالإنسان إلى التطرف والانسلاخ عن ماضيه، والانتظام ضمن جماعة يتماهى معها، وينفذ إرادتها إلى أن يضيق بهم ذرعاً، فيفارقهم عامداً بعد وعيه بحقيقة التطرف ومآلاته.

ويهدف البحث إلى التعرف إلى شخصية المتطرف بدءاً من نشأتها نشأة عابثة ماجنة فاشلة تضافرت لها عوامل كثيرة آلت بها إلى التطرف، ومن ثم انفكاكها عنه، لنحلل تلك الظاهرة، ونبين كيفية تشكلها وتفككها وسبل مواجهتها كما قدمها الروائي، لنكشف المنظور الروائي لمفهوم التطرف، وآثار توظيفه في توعية المجتمع من الظاهرة التي تؤسس لمنزلقات خطيرة ولا سيما أن الروائي راهن على وعي المتطرف، وطرح فكرة معالجة التطرف قبل انتقاله من مستوى الأقوال إلى مستوى الأفعال عبر الثقافة والفن والحب

الكلمات الدالة: التطرف، المتطرف، تشكل، تفكك، الانقياد والتبعية.

(1) كلية الآداب - جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل (الدمام – المملكة العربية السعودية)
lrodwan@iau.edu.sa

مقدمة:

برزت ظاهرة التطرف في مجتمعنا العربي والمجتمعات الغربية، متخذة أبعادا دينية وسياسية ومجتمعية خطيرة، كان لها انعكاساتها في سلوكيات بعض الأفراد وانحرافهم نحو ممارسة العنف، والقتل، والتفجيرات التي زرعت الخوف والرعب في نفوس المواطنين، وسلبتهم الشعور بالأمان. ولذا تداعت الأقلام المبدعة لرصد الظاهرة فنياً في نصوصهم الإبداعية، فكانت الرواية أقدر هذه الفنون للتصدي لمسألة التطرف بما يتيحه حجمها وتقنياتها كالوصف والحوار والشخصيات من معالجة الفكرة عبر الحكي والوصف؛ إذ وجد فيها كثير من الروائيين متسعاً للتعبير عن رؤيتهم لهذه الظاهرة، ومواقفهم منها، فكشفوا عن تمثلاتها عبر أزمنة وأمكنة مختلفة. وقد ظهرت روايات عربية كثيرة، اتخذت من التطرف والإرهاب وسيلة لإثارة الأسئلة حول نشأة الإرهاب، وآثاره وسبل معالجته، ومن هذه الروايات روايات سعودية، عبرت عن هذه الظاهرة التي عانت منها المملكة بطرق تعكس تفاعل المبدعين مع موضوعة التطرف والإرهاب سواء أكان على مستوى تمثلها أم على مستوى طريقة الكتابة، أو على مستوى الواقعية أو الفانتازيا، ومن تلك الروايات رواية "العصفورية" لغازي القصيبي، التي قدمت التطرف بوساطة السخرية والدعابة والغرائبي والعجائبي و"ريح الجنة" لتركي الحمد، التي تحكي قصة مجموعة الشباب المندفع الحالم بالجنة ليقوموا بعملية الحادي عشر من أيلول، ويحكي كيفية تدبير هذه الهجومات، و"جانجي" لطاهر أحمد الزهراني، التي تحكي قصة مجموعة ما يسمى بالمجاهدين، و"مفارق العتمة" لمحمد المزيني، التي لامس فيها التطرف في إطار قضايا اجتماعية أخرى، ورواية "حب في زمن الإرهاب" لعبد الكريم محمد المهنا، جاء تبصرة بالحقائق، وتعريفاً للإنسان بما يدور حولة من مخاطر، و"الانتحار المأجور" لآلاء الهذلول، التي عالجت قضية الإرهاب، وأسبابه ودوافعه، والإرهابي 20 للروائي عبدالله ثابت، التي ناقشت أيديولوجية الإرهاب، ورواية "عرق" بلدي لمحمد المزيني موضوع الدراسة، التي قدم فيها الكاتب رؤيته لظاهرة التطرف من حيث تشكلها وكيفية تفككها قبل استفحالها وتحولها إلى عنف وإرهاب دموي، فكان رهانه على إنقاذ المتطرف ومساعدته في عودته إلى رشده.

لقد تتبع الكاتب محمد المزيني في روايته "عرق بلدي" تحولات شخصية المتطرف، المتمثلة بشخصية "يعقوب" التي خضعت لمجموعة من الضغوط، التي أسهمت في تحولات خطيرة أبدع الكاتب في وصف تحولها من حياة اللهو والمجون والعبث إلى النقيض تماماً بسبب خيبات متعددة كان من أهمها الفشل في الحب، الذي دفعه للبحث عن بديل يرمم به انهياراته النفسية، وفي لحظة الضعف هذه تلقفته جماعات متطرفة مختلفة، أغرته بوسائل متعددة للانضمام إليها، فكسبت وده، ونجحت في ضمه إليها، وفي لحظة ما صحا فجأة

مـن خـدر ذلـك التتبـع الأعمـى لتلـك الجماعـات عندمـا اكتشـف غلواءهـا وانحرافهـا وخضوعهـا لمـن يمولهـا، ويدفـع بهـا إلـى تنفيـذ عمليـات القتـل لذلـك قـرر تصـحيح مسـاره، بادئـاً بالاستئثار بالمـال الـذي كلفوه بقبضـه وتوزيعـه لصنـاع القتـل، ليحيـا بـه، ويحـي نفـوس مـن كلـف بقتلهـم

وقـد حـاول الكاتـب أن يبتعـد عـن التقريريـة والمباشـرة؛ ولذلـك مهـد لبـروز ظاهـرة التطـرف بسـرد اليوميـات العابثـة التـي كان بطلاهـا السـارد وصديقـه يعقـوب، اللذيـن عاشـا مغامراتهمـا مـع الأغـراب فـي زواريـب الحـي القديـم وأزقتـه، ليكشـف نفسـية المتطـرف قبـل تطرفـه وبعـد انزلاقـه فـي النفـق المظلـم ليعمـق صورتـه فـي الوجـدان الإنسـاني

وعلـى هـذا فالروايـة تؤسـس رؤيتيـن متناقضتيـن بنـاء علـى شـخصيتين: إحداهمـا يحدوهـا الأمـل مـن أجـل الانتصـار علـى الواقـع، والأخـرى مخذولـة مستسـلمة غارقـة فـي الأوهـام باحثـة عـن حلـول غيبيـة نتيجـة قسـاوة الواقـع، لذلـك كانـت فصـول الروايـة سلسـلة معانـاة الإنسـان مـع الواقـع

ويثيـر البحـث إشـكالية: كيـف صـورت الروايـة التطـرف، وكيـف عالجتـه تشـكيلا وتفكيكاً ؟ وينحـل عـن هـذه الإشـكالية أسـئلة متعـددة منهـا:

- كيـف تجلـى الفكـر المتطـرف فـي الروايـة؟ وهـل تمكـن الروائـي مـن اسـتيعابه وتوظيفـه بصـورة صحيحة؟
- هل اكتفى الروائي بالحديث عن التطرف أم حلله ونقده وكشف أبعاده؟
- كيـف مارسـت الشـخصية المتطرفـة ميولاتهـا؟ وكيـف اتضحـت تلـك الميـول فـي الروايـة؟

لقـد قدمـت الروايـة صـورة للتطـرف عبـر مراحـل تشـكله، والعوامـل التـي سـاعدت علـى تفككـه، بـدءاً مـن المـكان والشـخصيات ومـا لابسـها مـن ظـروف كونـت بنيـة التفكيـر المتطـرف، وقـد قـدم الروائـي هـذه الصـورة بلغـة واصفـة، يغلـب عليهـا اللغـة الشـعرية.

وللبحـث أهميـة كبيـرة تتجـاوز اللغـة إلـى التوعيـة الاجتماعيـة بالأسـباب التـي تدفـع إلـى التطـرف مـن جهـة، وكيفيـة مواجهـة الفكـر المتطـرف قبـل تحولـه إلـى عنـف، ولا سـيّما أن مجتمعاتنـا العربيـة عانـت مـن عقابيـل التطـرف، إذ لـم نعثـر علـى دراسـة تناولـت التطـرف فـي روايـات محمـد المزينـي، مـا خلا دراسـة تقدم بهـا الباحـث الفرنسـي يانيـس خميـري، لنيـل درجـة الماجسـتير فـي المعهـد الوطنـي للغـات والحضـارات الشـرقية بباريـس بعنـوان "مفـارق العتمـة، صـور أدبيـة لنجـد ومجتمعـه عبـر الزمـن" متنـاولا القضايـا الاجتماعيـة لمدينـة الريـاض، وتجربـة انضمـام الكاتـب لجماعـة دينيـة ثـم انشـقاق بعـض عناصر هـذه الجماعـة، ولكـن يوجـد دراسـات

تناولت التطرف وصورة المتطرف في الرواية الجزائرية؛ كدراسة الشريف حبيلة التي تناولت صورة التطرف في الرواية الجزائرية المعاصرة، وقدمها لمؤتمر فيلادلفيا الثالث عشر(ثقافة الحب والكراهية)، ودراسة أخرى تناولت صورة المتطرف في المنجز الروائي الجزائري الجديدة لصوافي بوعلام في مجلة الحضارة الإسلامية عام 2014، رصد فيها شخصية المتطرف وتحولاتها.

مفهوم التطرف:

ارتبط التطرف بالدين ومظاهر التدين، وإيمان المتطرف الراسخ أنه ينفذ تعاليم الدين الحنيف، وهذا ما يستدعي تعريفه لنبين ابتعاد الشقة مابين الدين والأيديولوجيات المتطرفة، فالتطرف هو"الغلو والزيادة في الشيء دون حاجة أو ضرورة، وهو الابتعاد عن القصد والعدل" (الجهني ومصطفى، 2007، ص234)، ما يعني أن الإيغال في الشيء فعل مقصود لغاية ما قد تنطوي على الرغبة في التغيير على غير ضرورة، وقد ارتبط معنى التطرف بالخروج "على القواعد الشفهية (العرف) أو المكتوبة (القانون) والقيم والأطر الفكرية والدستورية التي عددها وارتضاها المجتمع كتحديد لهويته وسمح من خلالها بالتجديد والحوار والمناقشة"(البيومي، أحمد2003، ص81)

أما التطرف من المنظور الديني فهو "يتجاوز الدين لحالة من الغلو والتشدد، فالتطرف هو اتخاذ الفرد أو الجماعة موقفا متشدداً إزاء فكر أو إيديولوجية في قضية ما، أو محاولة خلق تنوع من التعصب الديني في بيئة الفرد أو الجماعة" (عثمان، 2017، ص 250). والخطورة هنا في أدلجة الدين، واستخدامه لتمرير فكرة معينة لاتجد رواجاً لها إلا بتغليفها بالدين.

كما عرّف علماء النفس والاجتماع التطرف على أنه "أسلوب مغلق التفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أية معتقدات أو آراء تختلف عن معتقدات الشخص أو الجماعة المتطرفة" (عبدالستار، 1992، ص192)، فالانعزال وعدم التفاعل مع الآخر، يعمق الفكر المتطرف بعداوة الآخر المختلف معه من أبناء جلدته، وهو استعداد ذاتي فردي، يظهر لدى الفرد، وينتقل من حال إلى حال متخذاً أشكالاً مختلفة في كل حال، فيؤثر في المجتمع وفي "الانتماء والولاء لدى الشباب،الأمر الذي جعل الشباب في حيرة من أمرهم ويعيشون أزمة فكرية يعبرون عنها في بعض سلوكياتهم، إما في شكل انسحاب واغتراب عن العالم، وإما في حالة عنف وتهديد لمجتمعهم، والأمران يمثلان أكبر مصدر للخطورة على شبابنا" (الحسناوي، والخالدي ،2022، ص 518)

وثمة مصطلحات أخرى مرادفة للتطرف من مثل: الغلو والتنطع والتشدد والتعصب، أما نقيض التطرف فهو الاعتدال والوسطية والتسامح والحوار، وهي معان ترتبط بطريقة

التفكير، والمعتقدات الراسخة التي لا تتغير بسهولة، فالغلو والزيادة والخروج على القواعد والتشدد والانغلاق سمات تطبع المتطرف، وعنها تنحل كل أفعاله

رواية عرق بلدي:

يسترجع الراوي في روايته أحداث الماضي عبر الذاكرة، فيعيد حكاية أحداث مرت وانتهت مخلفة وراءها ندوباً، بقي يتأمل فيها، ويقلب فكرتها إلى أن وظفها في قالب روائي، استحضر فيها الغائب، واستذكر ما شهدته المملكة العربية السعودية من أحداث في مرحلة التحولات الاجتماعية والاقتصادية، التي انعكست على الشخصيات والأماكن والأحداث، فكانت الرواية قراءة في أحداث ماضية، تخضع لقواعد الذاكرة الفاعلة، إذ حولت الذاكرة مخزونها إلى عملية سردية أنتجت أحداثاً مهمة، وجعلتها متسلسلة يكمل الواحد الآخر

وتلتبس رواية "عرق بلدي" بالسيرة الروائية، إذ يسرد الكاتب الحكاية بضمير الأنا بشكل تندمج في روحه كأنه يحيل على الذات في كل ما يرويه، فيتطابق الكاتب مع السارد ليحكي حكايته التي جسدتها شخصية يعقوب؛ فمنذ البداية يصرح السارد أنه سيستعيد حكاية الماضي بعدما ألحت عليه كثيراً، فجاء حكاية عبر فصول متتالية متسلسلة، أبطالها الرئيسيون الكاتب نفسه وصديقه يعقوب. وباستخدام الكاتب ضمير المتكلم يجعل "الحكاية المسرودة مندمجة في روح المؤلف، فيذوب الحاجز الزمني ما بين زمن السرد وزمن السارد، كأن ضمير المتكلم يحيل على الذات ويستطيع التوغل إلى أعماق النفس البشرية فيعريها يصدق، ويكشف عن نواياها بحق، ويقدمها للقارئ كما هي، لا كما يجب أن تكون" (مرتاض، 1998، ص 83)

ولم تكن الرواية خالصة لمناقشة التطرف الديني وتمظهراته بل جاء في سياق قضايا أخرى تحكي معاناة شريحة اجتماعية من الغرباء الوافدين الذين حلوا في الحي القديم الذي هجره أهله إلى حي جديد راق، أصر السارد وصديقه يعقوب على البقاء فيه متطفلين على حياة سكانه محاولين الغوص في خبايا حياتهم وأسرارها التي يبوح بها الليل، ويكتمها النهار، لكشفها وتعريتها، وقد كانت هذه الفصول مقدمة لبيان كيفية تشكل شخصية المتطرف ومن ثم الغوص في نفسيته، ليبني عالمه الباطني، الذي سيحوله إلى متطرف

فيعقوب الذي جسد شخصية المتطرف عاش حياة لاهية ماجنة اكتنفتها اخفاقات كثيرة، كان أشدها وطأة فشله في حب "هيا" التي هام بها، ورسم لحياته معها صوراً زاهية، ثم فجأة اختفت من حياته، وتركته يواجه مصيره وحيداً، الأمر الذي ولد في نفسه حيرة، انطوى على إثرها على ذاته، يزدرد ألمه بلا معين سوى أم عجوز حاولت مساعدته، وانتشاله من هوة وجد نفسه فيها، إذ حسبته مسحوراً، فبحثت عمن يستطيع أن يساعدها

في العثور على من يفك سحره، وهنا تحرك أخوته، وأحضروا شباباً لمعالجته، وجد لديهم سكينته النفسية، وهذا ما دفعه للتعرف إلى جماعة متدينة قادته للتعرف إلى أخرى متطرفة، استغلت هشاشته النفسية، وسهولة السيطرة عليه، ومن ثم تحول بعد ذلك إلى صيد سهل لأكثر من جماعة متطرفة، عملت كل واحدة على استدراجه والإيقاع به، وضمه إليها عبر وسائل وآليات بدأت بغسل دماغه، وبث أفكارهم فيه، لتطويعه وإعادة تشكيله وفق ما يريدون

بدأت سيطرة الجماعة على يعقوب باصطناع حسن استقباله، والاحتفاء به، ومن ثم عزله عن محيطه، وتضييق مدار حياته ليرواح بين البيت والجامع حيث يلتقي بجماعته، ويتلقى تعاليمهم إلى أن غدا واحداً منهم شكلاً ومضموناً إلى أن انتشله صديقه من براثنهم قبل أن ينتقل به تطرفه الديني من مستوى الأفكار إلى مستوى الأعمال الإرهابية، ولكن السارد لم يقدم تفصيلات عما كان يجري مع يعقوب وهذه الجماعات ليؤكد سريتها، وعملها في الخفاء، ولكنه عاد وترك ليعقوب المجال للكلام على تجربته السابقة بعد توبته عبر الحوار، ومن خلال الحوار مرّر الكاتب رؤيته في مسألة التطرف، وكيفية تشكلها وتفككها.

كان السرد عبر استعادة الحياة الماضية في الحي القديم بصورة بدا معه المحكي وكأنه مونولوج تذكري ملغياً الحدود بين المونولوج والسياق السردي. فكان فعل التذكر هو الفعل الضاغط على مجريات الحدث السردي في النص متخذاً أشكالاً متعددة من حوارات وتداعيات واسترجاعات، ترصد تحولات الأحداث

يركز الراوي على شخصياته، ويسرد الأحداث التي عاشتها، وينطقها بما يريد في معظم الأحيان، ويهتم بوصف المكان وصفاً دقيقاً يحوله إلى مكون نصي مهم في الرواية، يدل على الشخصية وعلى التحولات الاجتماعية التي شهدتها المملكة العربية السعودية، ويختار الأحداث اختياراً دقيقاً بحيث تكون صالحة للتأليف الروائي؛ إذ لم يعمد إلى حشد ها كأنها تاريخ مكتوب، بل عرضها كعناصر روائية تنمو وتتطور حتى تصل إلى نهاية معينة، وذلك بإعادة ترتيبها ترتيبا يحقق الفنية القصصية، محولاً السرد من سرد تتراكم فيه الحوادث كما دارت في الواقع إلى إبداع روائي يقوم فيه بعمليات الاختيار والتوليف والتخييل والتجاوز في الأزمنة، مع أن أحداث الرواية تنهض على أحداث ووقائع من الحياة عاشها المؤلف أو كان شاهداً عليها

وقد كان للوصف أهمية كبيرة في الرواية ولا سيّما وصف المكان لأهميته في إكمال صورة المتطرف من حيث نشأته فيه وتأثره به وارتباط وصفه له بتحولات شخصية المتطرف؛ بدأ الوصف بوصف الحي القديم (الخزان)، الذي تحول عنه سكانه، وسكنه الأغراب، ولم يبرحه هو وصديقه يعقوب، بل انغمسوا في أحشائه بفضول لافت للوقوف

علـى أسـرار قاطنيـه، فقامـت ذاكرتـه بتشـييد أمكنـة الواقـع مـن خلال رسـم لوحـة وصفيـة فنيـة تختـزل الـذات الإنسـانية الباحثـة عـن إجابـة لأسـئلة كثيـرة.

وقـد ربـط الكاتـب المـكان بالفكـر، وعرّفنـا مـن خلالـه إلـى هويـة قاطنيـه بنـاء علـى مايحدثـه المـكان مـن تأثيـر فـي قاطنيـه أو بمـا يؤثـرون فيـه فلا يوجـد مـكان فـارغ أو سـلبي بـل لا بـدّ أن يحمـل قيمـا تنتـج مـن التنظيـم المعمـاري كمـا تنتـج مـن التنظيـم الاجتماعـي فيفـرض كل مـكان سـلوكا خاصـا علـى النـاس الذيـن يلجـؤون إليـه، والطريقـة التـي يـدرك بهـا المـكان تضفـي عليـه دلالات خاصـة (لتمـان، 1986،ص83).

وقـد حمّـل الكاتـب دلالـة المـكان مفهومـا فكريـاً واجتماعيـاً، وأخضعـه لرؤيتـه الخاصـة التـي تفاعلـت مـع السـياقات التاريخيـة والنفسـية والاجتماعيـة؛ إذ ارتبـط التطـرف بأمكنـة خاصـة، فيعقـوب فـي بدايـة تطرفـه انعـزل فـي بيتـه، وانقطـع عـن النـاس إلا عـن فئـة تلقفتـه، وضمتـه إليهـا

لقـد كانـت أمكنـة الجماعـات المتطرفـة سـرية مغلقـة (البيـت، الجامـع)، ولذلـك عندمـا تحـرر مـن الفكـر المتطـرف كان المـكان العـام أول اختياراتـه (طـرق الريـاض، المقهـى) ليشـعر بالحريـة، والخـروج مـن سـلطة الجماعـة، وقـد اختـار المقهـى كونـه مكانـاً انتقاليـاً، أراد الكاتـب توظيفـه رمزيـاً لعـودة يعقـوب إلـى حياتـه السـابقة، أو محطـة انتقاليـة فـي حياتـه، ويقـوم المقهـى عـادة "بتأطيـر لحظـات العطالـة والممارسـة المشـبوهة التـي تنغمـس فيهـا الشـخصية الروائيـة كلمـا وجـدت نفسـها علـى هامـش الحيـاة الاجتماعيـة" (بحـراوي، 1990، ص91)، ولكـن المقهـى هنـا حمـل أيضـاً رمـز الانفتـاح علـى الآخـر والحريـة.

كمـا مثّـل المـكان الطبقـة الاجتماعيـة مـن خلال شـخصياته التـي تتحـرك فيـه وتعيـش فـي تفاصيلـه فهـي" تخترقـه، وتمنحـه قيمتهـا، ويحتضنهـا، فيعطيهـا حيـزاً تحيـا فيـه وبـه ولـه"(حبيلـة، 2010، ص24) ، وجسـد كذلـك الصـراع بيـن الماضـي والحاضـر فالحـي سـكنه الغربـاء، بعـد أن رحـل عنـه قاطنـوه إلـى حـي عصـري، ولكنـه بقـي شـاهداً علـى فتـرة مـن فتـرات التاريـخ تعـج بالتحـولات الاجتماعيـة، يقـول الـراوي: "شـاخ حينـا القديـم الخـزان... فباتـت أزقتنـا محدوديـة علـى ذاكـرة نكسـها الصمـت، وعثـا بدورهـا الخـواء. نفـض عنهـا قاطنوهـا القدمـاء أقدامهـم ورحلـوا إلـى تلـك الأحيـاء، مخلفيـن وراءهـم تراثـاً مـن المعانـاة، صبغتهـا رتـوش حكايـات صغيـرة لاتـزال معلقـة كتمائـم علـى الحيطـان ومتدليـة مـن الأسـقف أخيـراً سـكنها الغربـاء" (المزينـي، 2010، ص11)، فالمـكان تحـول إلـى بنيـة نصيـة، تمظهـرت مـن خلال لغـة السـرد والوصـف، وقـد لجـأ الـراوي إلـى الوصـف الدقيـق للمـكان للإيهـام بحقيقتـه كمـا فـي قولـه "توقـف بنـا فجـأة ليفرقنـا الضجيـج الفائـح مـن أرصفـة سـوق البطحـاء، فهـو المنبـه الأول بالوصـول إلـى محطتنـا المبتغـاة، كان قـد اجتبانـا تلاطـم الأجسـاد كأطفـال صغـار علـى امتـداد

هذا السوق العتيد الذي يشبه إلى حد كبير بازارات بومبي، أو كوا لالمبور، أو بنغلادش، تتسلل منه روائح تاريخ مختلط بعرق كل الشعوب. دهست أقدامنا بلا مبالاة قاذورات الباعة، ولشحذ همتنا لمخر عباب الفوضى، العارمة التي ستعيث حتما بأعصابنا تنكيلاً" (المزيني، 2010، ص15)، فالمكان عكس أفعال الشخصيات، وحدد هويتها، وأسس "الحكي لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة" (الحميداني، 1991، ص65).

وتتجسد بنيات الرواية في المكان الذي يحيط بالشخصيات، وهي من ثم تحيط به عن طريق إدراكها له، ومن ثم تشكيلها إياه حسب وعيها له، فالوعي يختزل "الأمكنة كلها ابتداء من الأمكنة الصغرى والأمكنة الكبرى المألوفة وانتهاء بالمكان المطلق"(حبيلة، 2010،ص22).

وقد صور الروائي الأمكنة بتفاصيلها الصغيرة، الأزقة الضيقة، والأبواب الموارية، الدور المتحاضنة، البيت الرؤوم، التواءات الحي، بيت الأسرار، وعكس عليها سلوك قاطنيها، وبذلك غدا المكان في الرواية " كياناً اجتماعياً يمثل خلاصة تجارب الإنسان ومجتمعه، يحمل بعضاً من سلوك ووعي ساكنيه، لذا لم يبق في نظر الدارسين، مجرد رقعة جغرافية فارغة بل يمتلئ بالخبرة الإنسانية فلا يمكن النظر إليه إلا على أنه نشاط إنساني متصل بالسلوك الإنساني، مثقل بعواطف ومشاعر، ومواقف، وهموم، وانفعالات الذين قاموا فيه، أو مروا به، إنه مستودع أسرارهم، إنه تاريخ الإنسان. بل يصير كائنا حيا يمارس حركته في النص الروائي رغم سكونيته التي وصفه بها النقد القديم ، وألصقتها به الرواية الكلاسيكية" (حبيلة، 2010،ص24). وقد توثقت العلاقة بين الأمكنة في الرواية وبين شخوصها، فمنحت الأمكنة خصوصيتها، وعادة ما تمنح الشخصية المكان خصوصية، كونها تخترقه" فتمنحه قيمتها، ويحتضنها فيعطيها حيزاً تحيا فيه وبه وله" (حبيلة، 2010،ص24). وهذا ما يوضحه قول الراوي: "مشينا نزرع المحلات، كم يوغر صدورنا تدافع الباعة بأيديهم المثخنة بالبضائع، يلهجون بنداءات مرتلة وأحياناً مسجلة على شرائط كاسيت، ونحن نستبطن عجزنا"(المزيني، 2010، ص15- 16) فقد أبان السرد ازدحام السوق، وأصوات الباعة ونوعية هذا السوق وسمات مرتاديه، ومستواهم المادي، وفي المقابل جعل المكان صورة عن سكانه "فتزهو أمامنا المدينة بتجاعيد تكسوها واجهات رخامية نضرة، تحتفل بتكريس الصمت على بشر مثلنا ينسلون بمكرهم الليلي، يخاتلوم بريق متعة منسية ومتشظية من بين أعطاف الحذر والخوف"(المزيني، 2010، ص 18- 19) فالمدينة صامتة، مغلقة، لذلك يبحث قاطنوها سراً عن متعتهم في مكان آخر. وفي حديث الراوي عن جشع سويلم العدان، يعبر عنه من خلال المكان" يتعمد في أحايين كثيرة تقسيم البيوت الكبيرة إلى أربع دور صغيرة تدر عليه مبالغ طائلة"(المزيني، 2010، ص 24).

أمـا المـكان المغلـق (البيـت)، فقـد تحـول إلـى مـكان يمـارس اغتيـال الإنسـانية، واغتيـال الطهـر بـكل عنـف، فانتقلت فكـرة التطـرف مـن العلاقـات فـي هـذه الأمكنـة إلـى المتـن السـردي فـي الروايـة. فقـد ذكـر الـراوي أن الأرواح عـادة تفسـد فـي الأماكـن المغلقـة "لذلـك يتركهـا دائمـاً مشـرعة أمـام عيـن الشـمس أو نـور القمـر وارتعاشـات النجـوم بمـا يبعـث الأمـل والفرحـة الدائمتيـن" (المزينـي، 2010،ص225)، فجسـد المـكانُ البيئـة المهمشـة، التي عبثـت بها الظروف التـي سـحقت إنسـانيتها فـي البيـت والشـارع، ولذلـك كان الروائـي يحـرص علـى وصـف الأمكنـة بشـكل يبعـث الإحسـاس بالبـؤس والقهـر، ويفاقـم الإحسـاس بالضيـاع، فهوعندمـا وصـف السـيارة التـي اسـتقلها وصديقـه يعقـوب أسـقط عليهـا بـؤس راكبيهـا بمـا يحـدد هوياتتهـم ، فقـال: " كنـت ويعقـوب قـد أسـلمنا جسـدينا لصنـدوق حديـدي محشـو بمقاعـد متهالكـة يسـمى مجـازاً حافلـة (خـط البلـدة). لايحـوي فـي بطنـه سـوى وجـوه عمـال مسـخها العنـت اليومـي وأسـمال باليـة تبـرز أيـادي نحتهـا الحديـد والخشـب والنـار... نقطـع طريقنـا الملـون بالوجـوه المكدسـة أمامنـا فلا ترتخـي ملامحنـا حتـى نفادنـا منهـا ومـن لجلجـات الباعـة الواقفيـن خلـف بسـطاتهم المكونـة مـن أدوات كهربائيـة ذات اسـتخدامات غريبة"(المزينـي، 2010،ص14).

فالأمكنـة عكسـت سـمات شـخصياتها، وكان لهـا أثـر فـي تحديـد هوياتهـم وانتماءاتهـم، وكانت الأسـاس فـي توجيـه سـلوكهم فيمـا بعـد. كمـا جسـد الـراوي وصديقـه تقاطبـات المـكان؛ فهمـا فـي النهـار فـي مـكان، وفـي الليـل فـي مـكان مختلـف تمامـاً، ففـي النهـار يجوبـان الحـي القديـم، ويـأوي كل منهمـا لـيلاً إلـى بيتـه؛ إذ يعيـش الـراوي مـع والـده بعـد وفـاة والدتـه، وقـد ألـف صوتـه وهـو يوقظـه للدراسـة أو الـصلاة، وهـذا الصـوت يشـعره بالطمأنينـة؛ لذلـك كان مبعـث اسـتغراقه فـي النـوم (المزينـي، 2010،ص29)، ويعقـوب يعيـش مـع والدتـه العجـوز بعـد وفـاة والـده.

تشكلات شخصية المتطرف:

كان للظـرف الشـخصي دور مهـم فـي تأسـيس شـخصية المتطـرف كالظـروف النفسـية والاجتماعيـة، التـي فعلـت فعلهـا فـي ذات يعقـوب، الـذي عـاش بدايـة حيـاة لاهيـة ماجنـة، أثـرت فـي تكوينـه النفسـي فـي مراحلـه الأولـى، إذ اعتـرف لصديقـه بسـلوكه الشـاذ مـع النسـوة مـن صديقـات أمـه، واسـتذكر فـي حـال أشـبه بالهذيـان مرحلـة مضـت مـن حياتـه، فقال:"عندمـا شـعرت برجولتـي المبكـرة وبـدأ ينتصـب ذكـري طفقـت أجـرب نفسـي، أتحـرش بالنسـاء الزائـرات لأمـي سـاعة العصـر، وقـد لا أتـورع عـن الاحتـكاك بهـن إلـى حـد الالتصـاق المباشـر بأعجازهـن الكبيـرة... وغالبـاً ماكنـت أنثـر سـمومي اللحظيـة وأرحـل مبخـراً عرقـي تحـت هـواء المكيـف الصحـراوي الرطـب متقرفصـاً فـي زاويـة مـن غرفتـي" (المزينـي، 2010،ص45)، فهـذه المرحلـة مـن حياتـه، أسسـت لمراحـل تاليـة كان فيهـا يعقـوب والـراوي يبحثـان عـن مـكان يلبـي حاجتهمـا الجسـدية، وهنـا يلجـأ الـراوي إلـى الوصـف عبـر إشـارات جسـدية وحركيـة تفيـض بـدلالات نفسـية، فيقـول: "نصـل سـوق النسـاء سـريعاً، فنغـوص بيـن التـواءات ممراتـه

الضيقة، حيث ترجن لذتنا فوق عش الشهوة البادية من تلوي أجسادهن الحربائية. وهنا تبدأ لعبة المواربة بأطرافنا الغافية الآخذة بالانتشار. سريعا نلملم بذورها كي لا تنمو فترتطم بأجسادهن، مستشعرين حالة انتصاب جزئي مختلسين طريقنا إلى الممرات الأضيق، حيث التصاقهن مكتومات حول بسطات الباعة بلا نظام فلا يتحسسن لارتطام الأجساد العابرة بأعجازهن المندلقة بكرم" (المزيني، 2010،ص16).

محطة أخرى في حياة يعقوب وصديقه شكلت جانباً من شخصيته، وهي مفارقات المجتمع التي ولدتها التحولات الاجتماعية، وهي صعود طبقة أثرياء يمثلها "سويلم العدان" الأمي الجاهل الذي خبر فن التعامل مع الغرباء، وأحسن استغلالهم ، فازدادا كرهاً له لتحكمه في أكثر بيوت الحي المؤجرة، ويغري من أراد الخروج منه بتقديم عروضه السخية، فكان "ينفحهم العقار المملوك بأقل سعر للمستأجر في السنة الأولى ثم يضاعفه في السنة التالية... يتعمد في أحايين كثيرة تقسيم البيوت الكبيرة إلى أربع دور صغيرة تدر عليه مبالغ طائلة. كان لايسأل البتة عن جنسيات النزلاء أو هوياتهم مادامو غير سعوديين، مما يرفر له سهولة ومرونة في التحكم والتغلب على مشكلات جمة يواجهها كثير من العقاريين"(المزيني، 2010،ص24)، وليس هذا وحسب بل كان يستفز مشاعرهما بزواجه من صغيرات جميلات يغريهن بأمواله، على حد قول الراوي : وهذا " ما وخذ قلوبنا بدبابيس كاوية اقترانه بهذه الفتاة الحسناء" (المزيني، 2010،ص35). هذا الكره لسويلم ولد دافعاً لسرقته والتمتع بأمواله.

ثم نمت لديهما حال من الفضول للنبش في حياة الناس، فاقتحما حياة أحد الوافدين "فريد" ووطدا علاقتهما به من أجل زوجته هنية، وبدأ يمدهما بالفديوهات الممنوعة التي توقظ في نفسيهما اللذة فتمتد أعينهما إلى كل امرأة حتى زوجته التي أكرمتهما، وراحا يغتصبان منها ما شاء لهما من المتعة. (المزيني، 2010،ص 66-65)

ويتابع الكاتب تشكيل هوية المتطرف، فيصور تهور يعقوب وإمعانه وصديقه في اتباع نزواتهما حتى زج بهما في السجن نتيجة تطفلهما على أسرار البيوت وهتك حجبها ليلاً، إذ كشفت حياتهما الليلية أسرار الحي التي يخفيها الليل، حيث تسري فيه الحياة بكل ثقلها بالرذيلة، وفي النهار يطوى سر الليل ساحقاً سحنة الرذيلة وينثرها في وجه الشمس بضوئها الفاحش، (المزيني، 2010،ص72)؛ ففي الليل تتحرك كل أفاعي الشهوة والمجون وفي النهار تنعكس الصورة وتمحو أضواء النهار على الأفعال المشينة، فقد كانت حكايات الليل" تزحم ليلنا المشغول بالمتعة والأنس... شرب وطرب ورقص ووجوه حسان" (المزيني، 2010،ص101)

وفي مرحلة تالية من تكوين يعقوب النفسي، يقع في حب "هيا" الذي تملَّك كل

جوارحه على مرأى ومسمع صديقه الراوي الذي يصف بدقة وقع الحب في نفسه: "كنت أطوق نفسي منتظراً تضميد كلمات يعقوب النازفة حباً وغزلاً في قلب (هيا) المرتجف كأرض يابسة هطلت عليها أمطار غزيرة في لحظة"(المزيني، 2010،ص102). لقد ملكت هيا قلب يعقوب فمضى "يثور مهجته بما تركت له "هيا" من أياد غادرة ...أبحر معها في فضاء ساحر على متن سفينة تصارع أمواج أعالي البحار مصنوعة من قوس قزح. ظل يلملم المدى بين يديه ويسرج كلماته، ينفض منا عبارات تتراقص على أنغام الحب.. يرسم وجه حبيبته من كل اتجاهات السماء ومكنونات الأفق... لقد نذرت نفسها ليعقوب واشتغلا معاً بتطريز أحلامهما على بياض الشمس البكر حيث كانا يقضيان الليل كله حتى إشراقة الصباح وهما يرتادان المستقبل بأحلام واعدة ناذرين نفسيهما لهذا الحلم (المزيني، 2010،ص105)، هذه العاطفة المتوهجة خبت في ليلة مكفهرة غاضبة، إذ لم تأت (هيا)، انتظرها يعقوب بروح شفافة لاتمل الانتظار مضى أكثر من أسبوعين فبدأ الأمل يتلاشى كحلاوة قالب سكر يذوب في الحلق ويخبو مذاقه. انطفأت آخر شموعه التي أوقدتها في قلبه واحترقت روحه ساعة كشر الزمن عن وجهه القبيح، أفصح عن مكره، توارى وجه حبيبته خلف جدران رخامية مجهولة بلا اتجاهات في مدينة تعيث بها الأسرار فلا تحمل سوى أقنعة (المزيني، 2010،ص150 - 106)، كان الحب سلاحه في الحياة، وفجأة جرّد منه وغدا بلا حياة ولاسلاح ، فتش عن حبيبته في كل مكان، ولكن لم يعثر لها على أثر، وقد حاول صديقه ترميم نفسه من خلال الذكرى، ولكن لم تعد كلماته ترمم له عروقه الحامية أو ترطب نفسه المتشققة يبساً (المزيني، 2010،ص106)، وهنا بدأ التحول الكبير في حياة يعقوب، إذ انتقل بين ضفتي الحياة المتناقضتين، ودخل في مرحلة جديدة لايعرف مآلها، وهذا ما أفصح عنه يعقوب فيما بعد لدى حديثه عن معاناته، التي كانت سبباً في تطرفه عندما أعطاه الراوي فرصة للتعبير عما اعتراه لدى اختفاء هيا من حياته فيقول:" كان توراياها كافياً لنحر شاب مثلي في مضمار الحب"(المزيني، 2010،ص168)

لقد اكتمل تشكل شخصية المتطرف "يعقوب" بعد مرورها بمراحل من الفقر واللهو والمجون والفشل في الحب والانطواء على الذات، واستلاب الإرادة، وهذا ما أودى به إلى الانجراف في تيار لم يكن يوماً من أنصاره

إن المراحل التي مر بها يعقوب بكل ثقلها من اجتماعية ونفسية، شكلت البنية الفكرية التي أنتجت التطرف، في مقدمتها الفشل في الحب الذي دفعه إلى الهروب من الواقع، ومن ثم الانسلاخ عن حياته السابقة إلى ماظن فيه الخلاص ، وقد وصف الراوي بداية انسحاب "يعقوب" من الحياة وكأنه يرثيه بحميمية بلغة تنبض ألماً وحزناً فتلون السرد بلون نفسية الراوي" كنس عن عظامه ارتعاشات النزوة الليلية في بيت العمة.. التهمه عطشه منزوياً في ظلمة غرفته حسيراً يتكسر حداداً على ما آلت إليه حاله داخل زاوية قصية من روحه المعذبة وقلبه المختلج باليأس والأمل الكسيح" (المزيني، 2010،ص106- 107).

وتتقدم الحال بيعقوب، ويدخل في صمت وجمود، وينعزل عن الآخرين حتى بات لايراهم، ولايلتفت إليهم، حتى إن صديقه - الراوي - تعجب من انقلاب حاله، فكان يتقصد المرور بجانبه "فلا تهتز عيناه الواجمتان وهما تسوخان في غيابة جب سحيق" (المزيني، 2010،ص107)، ولعل في جمود تعابيره تجسيداً لصورة الضياع بكل أبعادها، لذلك ظن المقربون منه أنه مسحور، فتوسلت أمه علاجه من إخوته لإنقاذه وانتشاله من حاله التي وصل إليها، فأتوا له بمن يعتقد أنهم قادرون على شفائه، فكان يختلي به بعض الرجال إلى أن غدا في حفاوة خاصة من لدن كتيبة من الشباب المتدينين، يتوافدون إليه بعيد صلاة العصر فلا يخرجون إلا ساعة اندحار الشمس في باطن الأرض" (المزيني، 2010،ص107)

بدأ يعقوب حياة جديدة، تغير فيها مظهره، وبدل جلده، فاعتاد الخروج مع جماعته، وكان يلازمهم إلى صلاة المغرب ولايعود إلا في ساعة متأخرة. كان صديقه يراقبه وهو عائد من بيت أم صنات فجراً، فيتتبع خطواته، ويصف مظهره وما يعتريه من حالات غريبة، إذ كان: "يخرج من المنزل متجهاً نحو المسجد مطموراً بعباءة وبرية، فلا يبادلني أدنى التفاتة. أسمع صوته يعلو بتراتيل آيات قرآنية كأنه يطرد روحاً شريرة تجتلد حوله ثم ينفث ذات الجهات الأربع، ناديته فلم يسمعني. مشيت أمامه فتصاعد حسه بتلاوة القرآن دون أن يحرك جفنه نحوي، حتى راعني منه ما رأيت فوليت منه فراراً" (المزيني، 2010،ص108)، لقد أدخل المنظر الرعب في قلب الصديق، الذي هاله التغير الحاصل لصديقه في هذه المرحلة التي توحي أنها فترة تحضير المتطرف، التي تبدأ بتفريغه من إنسانيته ومن ثم عزله للسيطرة عليه والانسياق وراء فكر الجماعة، وهذا ما أضفى جموداً على ملامح يعقوب، أدخل الخوف في قلب صديقه، هذه البداية كما يراها الروائي بداية دينية خالصة أولاً، ثم تحولت إلى دينية عقائدية، وهنا مكمن الخطورة.

ويعمد الراوي إلى وصف التغيرات التي طرأت على مظهر يعقوب الخارجي موظفا تقنية الوصف كما عرفت في الرواية الواقعية، مع أن الرواية تندرج ضمن ما يعرف برواية تيار الوعي، ليميز شخصية المتطرف عن غيره شكلا، بما للشكل من أهمية في تحديد السمات العامة للسلوك إضافة إلى الإشارة إلى التبعية المطلقة وانعدام التفكير في الانقياد للجماعة. لقد "أصبح متديناً غضاً تنز فوق حافات وجهه لحية جعداء كثة وصارمة.. تبزغ من عينية حميّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يكسوه ثوب قصير وشماغ يصب فوق رأسه بهيبة طاغية، يلفه بحميمية مفرطة، يشاغب اصطفاق الرياح. كان بارعاً في تقويض هواجسه الشيطانية وملتفاً بشكل لولبي حول الجماعة يتجاذبه همها وانتماؤها السماوي" (المزيني، 2010، ص 108)، فالوصف الخارجي للشخصية يدلل على ما تفرضه الجماعة من زي موحد لأعضائها والتزامهم به وقوقعتهم في إطار شكلي موحد، ولكن الكاتب يراهن على توبة صديقه لذلك وصف تدينه بالغض، لأنه بداية رغب في

التسامي الديني فقط، ولم يكن يعرف أن دربه ستقوده إلى منزلق خطير، إذ دخل في عزلة انفصل فيها عن المجتمع، وكأنه وقد "ابتلعته غيابة مديدة" (المزيني، 2010، ص 108)، كانت كافية لغسل دماغه.

لقد قدم الروائي هوية المتطرف التي تتخذ من الشكل الخارجي ما يميزه عن البشر، وما يشعره بالانتماء إلى الجماعة الدينية، وبعده أكثر عن الآخر في الوقت عينه، فرسمه في صورة الشخص العقائدي الذي يتخذ من اللحية واللباس ميزة تميزه عن الآخرين، وهو ما أعطاه هويته الخاصة التي يشترك بها مع غيره ممن ينتمون إلى التطرف، وهنا لجأ الكاتب إلى تقنية الوصف، والوصف تقنية تعنينا في هذا المقام ليس كعنصر تابع للسرد، وإنما بوصفه تقنية من التقنيات التي يلجأ إليها المؤلف نفسه ليبين موقفه مما يحدث، لذلك أخذ الوصف حيزاً واسعاً في الرواي ، وقام بدور كبير في بناء النص الروائي إلى جانب السرد والحوار

ولعل الكاتب قصد إلى الوصف هنا ليبين ثقل الزمن ووطأته عليه، فهي مرحلة القطيعة التي عزل فيها يعقوب نفسه عن صديق عمره. وفي وقوف الحكاية هنا غاية لإكمال الصورة، وتقديم فكرة وافية عن التغيرات التي لحقت بالشخصية التي عزلت نفسها في إطار الجماعة التي انتسب إليها.

لقد ارتبط الوصف هنا بلحظة معينة وهي اللحظة التي توقف فيها السرد للاستغراق في تفحص حال يعقوب الجديدة، وقد وصفها بدقة بطريقة تستوعب شمولية الوصف، الذي يهتم بالشكل الخارجي للمتطرف، وحركاته، وصوته وهيئته، أي التشكيل الخارجي لصورة المتطرف عن طريق النظر والتوسم "كنت أراقبه" والمراقبة تحمل في طياتها التدقيق والملاحظة والتتبع الحالات اللازمة لدقة الوصف

تفكيك التطرف:

لما كان الوصف لما يشاهد عياناً، يتناسب مع ما تريد الرواية تقديمه من وصف التغيرات التي طرأت على شخصية يعقوب بعد انتمائه الجديد، لتحديد هويته الجديدة، فقد لجأ الروائي في تفكيكه للإرهاب إلى الحوار الداخلي والخارجي، ليبين لنا الحلقات المفقودة في الرواية، ويصل ما انقطع بينه وبين صديقه، فكان المونولوج تقنية يكشف عبرها عوالمه الداخلية، أما الحوار فقد لجأ إليه عندما أراد أن يكشف عن داخل شخصية المتطرف واستجلاء رؤيتها لماحدث لها.

والروائي حاور المتطرف، وأعطاه فرصة ليكشف عن ذاته ولكن بعد انقلابه على الجماعة، واستخدم حديث النفس"المونولوج" ليبين ما يساوره من قلق إزاء حال صديقه،

ويكشف عوالمه الداخلية، ويجهر بخباياها، ويكشف انفعالاتها، وقد أكد" ليون أيدل" على أثر هذا الأسلوب في التعبير عن فكر الشخصية الروائية وتقاطر أفكارها، "والانعطاف الباطني للشخصية وتعبيرها عن تجربتها العقلية"، (أيدل،1959، ص11).

والمونولوج "تقنية خطابية تعرض بطريقة مباشرة الصوت الداخلي للشخصية الروائية، وحياتها النفسية الداخلية" (ضويو، 2014، ص75) فمن خلال محاورة الروائي لذاته كشف عما يدور في ذهنه إزاء تقصيره في حق صديقه، إذ كان يحدّث نفسه معنفاً "هجست إلى نفسي بحثت داخلها عن تلك العروق الهشة لترميمها فربما كانت سبباً في تقاعسي عن كوكبة يعقوب، فلا أبقى أعزل أو مجرداً من سلاح أطعنه في أحشاء كل أسئلتي المتورمة، كلما التقيته معرضاً واجماً متلافياً ارتطام أعيننا ببعضها تنغرس أسئلة تعذبني وتوصد كل أبواب يمكن الانزلاق منها إلى جماعته، لا أصدق أنه طمس تاريخاً تتحدث عنه خطواتنا المرسومة على قارعة الطريق والجدران القانطة من تلوينها بعباراتنا السمجة وتضحك لها كل الأبواب الزائغة على مغامراتنا الليلية"(المزيني، 2010، ص109-108)، يتأسس هذا المونولوج على استراتيجية البوح التي تدفع بحركية الحدث، والمونولوج يشتغل كبنية سردية تكشف ما يدور داخل شخصية الراوي، إذ يستبطن ذاته ويحاور ماضيه، ويتعجب كيف تنكر لها يعقوب، وأدار لها ظهره، ليبدأ مرحلة جديدة. ولعل الكاتب قد لجأ إلى هذه التقنية ليفجر مكبوتات ذاته، ويرسم صورة لذاته المشظية بين الماضي والحاضر، ويقدم رؤيته للتطرف القائمة على التبعية من دون تفكير أو إعمال للعقل، والانعزال عن المجتمع. يقول الراوي:" في تجن فاحش أدار بوصلته نحو شباب مزدهين بحركة جماعية لاتنفلت عن مساراتها المحددة سلفاً كأنهم إطارات لعربة يحركها قائد واحد بامتثال وتبعية متناهية.. آخر لحظة رأيته كان هارباً برفقتهم لم يبادلني حتى إشارة تنبئ عن وجودي حوله، ثم رأيته مكسواً بذقنه الكثيفة. تلمع عيناه بانكسار حاد يستبطن المقت..كان قبلاً يخرس أنين الفتيات الساحرات ويقطع وتيرة شبقهن الأزلي" (المزيني،2010، ص109) يثير منظريعقوب تساؤلات الراوي واستغرابه، فيقارن بين الماضي والحاضر، ليعمق صورة التحول التي حولته من شخصية لاهية عابثة إلى شخصية لاتملك من نفسها شيئاً، شخصية مسلوبة الإرادة، تسير بغريزة القطيع بلا إعمال للعقل، فتتحول إلى آلة صماء بلا إحساس ولا عاطفة ولذلك ألح على صفة المقت والانكسار في وصفه ليعقوب بعد تطرفه

ظلت قصة يعقوب تنكأ جراح صديقه، الذي ما فتئ يذكر تحولات حياته؛ ولذلك دأب يبحث عن السر الكامن وراء هذا اللغز، فانصرف إلى القراءة والمطالعة باحثاً عن سر الكون والعلاقة بين الغائب والحاضر، وأخذ يبحث عن سبب انقلاب حياة يعقوب وأثر ذلك في نفسه، فقال: "لعل انقلاب حياة يعقوب بالبعدين النفسي والروحي كشف عن مشكلة جرفتني لتيارات متصارعة لازلت أبحر في ريعانها لم أستفق منها حتى لحظة اكتشافي

ذات ليلـة وإننـي مقابـل تمامـاً، وبلا فاصـل، لجسـد يعـرف نفسـه إنـه زوجتـي" (المزينـي، 2010، ص116)، كان البحـث عـن السـر شـاغله فدخـل فـي حـال مـن العرفـان اسـتغرقت وقتـاً حتـى عـاد إلـى الواقـع

وعندمـا أراد السـارد أن يبـدأ بتفكيـك الإرهـاب لجـأ إلـى تقنيـة الـفلاش بـاك، وهـو تقنيـة الارتـداد، التـي تعنـي الارتـداد نحـو حكايـة كان يمكـن أن تذكـر فـي موضعها من السياق السـردي فأرجـأ تقديمهـا لغايـة مـن الغايـات الفنيـة التـي منهـا حـب المـزج بيـن الحاضـر والماضـي، وإدمـاج أحدهمـا فـي الآخـر بطريقـة تتوخـى الحيويـة والحركـة المتجـددة فـي السـرد، فقـد غابـت "هيـا" تمامـاً، ولـم يـأت السـارد علـى ذكرهـا بعـد اختفائهـا، بـل تحـول إلـى حكايـة أخـرى، وفجـأة يذكرهـا، ويسـأل عنهـا أم عـزوز، فتخبـره بمـا يعينـه فـي البحـث عـن وسـيلة تخـرج يعقـوب مـن شـرنقته، وبمـا أن تطـرف يعقـوب كان بسـبب فشـل حبـه، فمـاذا لـو عـاد هـذا الحـب؟ وهـل أبقـى لـه التطـرف مكانـاً للحـب فـي نفسـه؟

لقـد كان العثـور علـى"هيـا" بدايـة تفـكك التطـرف، فعندمـا فتحـت أم عـزوز صنـدوق أسـرارها، وباحـت للـراوي أن الحسـرة مازالـت "تعصرهـا، حينمـا تتذكـر يعقـوب... تصـدق أنهـا أرتنـي صورتـه التـي أخفتهـا فـي قلادة علـى شـكل قلـب تعلقهـا دائمـاً علـى صدرهـا" (المزينـي، 2010، ص154)

هنـا حضـرت هيـا ذكـراً، فقفـز ذكـر يعقـوب أيضـاً، وهنـا راودت الـراوي فكـرة زيـارة يعقـوب، ليتفقـد أحوالـه، وينتزعـه مـن وحدتـه، فتسـاءل لمـاذا لايطـرق بـاب بيتهـم الصـدئ ويهـزه مـن عروتـه؛ لينتـزع "هـذا الـذي تسـكنه الوحشـة وحيـداً فـي عالـم نسـيان زمنـي مأفـون" (المزينـي، 2010، ص159). فعـزم علـى الاتصـال بصديقـه يعقـوب، وعندمـا سـمع يعقـوب صوتـه بـات" خنسـاً يجتـر لواعـج الهـم ثـم صـرع سـماعة الهاتـف دون أن ينبـس بكلمـة أو حتـى حـرف... تزيـح سـتارة الأيـام عـن مهجتـه الطافحـة بـالأذى. تذكـرت آخـر مـرة رأيتـه فيهـا. كان هاربـاً يسـتجمع نظراتـه بيـن أقدامـه مشـيحاً بوجهـه عنـي ذلـك اليـوم، كان هاربـاً، أمـا اليـوم فمـاذا سـيكون؟" (المزينـي،2010، ص160). لقـد امتـد الزمـن الماضـي بيـن رفـع السـماعة وإغلاقهـا، وعـادت الذكريـات الأليمـة لتطفـو أمـام عينـي الـراوي، ففـي السـابق طـوى كشـحاً عنـه، أمـا اليـوم فهـل سيسـتجيب لـه؟

لعـل تسـاؤلاته هـذه كانـت لمواجهـة مـا يسـاوره مـن قلـق وحـالات الحيـرة التـي تعتريـه، والانفعـالات التـي تعصـف بـه، والمشـاعر التـي تجتـاح دواخلـه، الأمـر الـذي يخيـل لنـا أنهـا ذات تحـاور أخـرى فتجيبهـا؛ وتهـدئ مـن شـدة روعهـا، وتخفـف مـن صراعاتهـا النفسـية، فشـخصية الـراوي هنـا "تجـرد مـن نفسـها ذاتـا أخـرى، تحدثهـا وتصارعهـا إذا لـزم الأمـر؛ لـذا يكـون لمثـل هـذا المونولـوج خاصيـة فنيـة تميزهـا تتمثـل بقدرتهـا التـي تمنحهـا للإنسـان عندمـا يعجـز عـن الجهـر بهمومـه وأفكاره مباشـرة" (خليفـة، 2009،ص132)

ويقتحم الراوي عزلة يعقوب، ويعطيه فرصة لأن ينفث مافي صدره، إذ لم يشأ وأد صوته السردي، ولذا لجأ إلى محاورته ليبين المراحل التي قطعها بعد عهده بحبيبته "هيا" وتحوله في فترة علاجه وانتقاله من مرحلة إلى أخرى.

وقد اكتسب الحوار أهمية في الأعمال الروائية كونه يعد بنية من البنى السردية، يمنح الشخصية فسحة للبوح بما تكنه من أفكار ورؤى وانتماءات وميول

وقد وظف الروائي المزيني الحوار عندما أراد أن يظهر خفايا نفس المتطرف ورحلته مع التطرف ليكشف لنا عما أضمرته أفكار الشخصية، فأعطى للشخصية دوراً في تقديم نفسها، لتتشكل في الأخير صورة متكاملة للشخصية المتطرفة

فالراوي عندما اقتحم حياة يعقوب بعد تردد، رأى وجهاً بأشلاء لحية، فجعل شكل اللحية علامة دالة على تفكك الفكر المتطرف، وهي علامة دالة على انتهاء حقبة سوداء من حياته، دفنتها يقظته، وكان أول رد فعل على حياته الماضية إشعاله سيجارة، والتدخين فعل تمرد على تعاليم الجماعة، ومن ثم كان توجهه وصديقه نحو مقهى الرمال، وهنا حاول الراوي استفزاز لسان يعقوب للبوح والكلام بما خبأته تلك الأيام، ونجحت محاولته، "فاندفع يحرك لسانه بعبارات حانقة:

- تريد أن تعرف باختصار رحلتي التي بدأناها معاً في بيت العمة. كنت دلفت وحيداً في معصرة حبي لـ "هيا" من غرست رائحتها في أقصى شعيراتي الدقيقة... وغابت فجأة دون أن أسألها من تكون. خرجت تلك الليلة الحزينة المكتئبة من بيت العمة أجتر خطواتي الراكسة في حيرة وتخبط ضبابي يحيرني هذا الغياب، تنفست برائحة أمواج كانت تتكسر بين أضلعي، أجرجر خطواتي التائهة، أقلب وجهي في ظلمة غاشمة بحثاً عن وجهها. كنت أمام منحدر يومئ للغروب غير مكترث بجذاذات أعين تسفك فضولها الاعتيادي، مشيت بخطوات مبتورة ألصق بذاكرة محترقة كجرذ صغير يحاذر غائلة تتصيده ببلادة وجمود، أندحر في كوة ذاتي المجروحة... اكتشفت ليلتها أن (هيا) سحقت كبريائي وهدمت عظمة الحب ... بت أحلق في هباء يتصيدني كلص طريد كاشحاً أضواءه النارية المضطرمة في حلكة الأوقات الزاحفة كأفاع سامة متلهفة لغرس أنيابها بين مفاصل التيه الذي أحسه" (المزيني،2010، ص165).

لقد منح السارد التطرف مساحة للإبانة عن نفسه، فاستعاد ماكان لغياب (هيا) من وقع في نفسه، وكأنه يحاكمها كونها مصدر الحب والعذاب في الوقت عينه، فحياته بسببها انقلبت رأساً على عقب، وأدخلته متاهات الحياة ومنعرجاتها الوعرة، فأخذ يضرب في الأرض من غير وعي، لقد كان غياب الحبيبة كافياً لتحويل حياته جحيماً لايطاق، ولذا بحث عن شيء

يشده إلى الحياة، يلوذ به ولو كان وهما، وهنا كانت اللحظة الحاسمة إذ تزامن الغرق في لجج الضياع، مع هرولة أنفاس حاولت جذبه من براثن الموت فوجد نفسه " مغموراً بتيك االأنفاس المهرولة. تلتف أنفاسهم على أحجيات عرافين وحدهم شخصوا حالتي وعثروا على علتي ووصفوا دوائي، كان إكسيراً من ينبوع الحب والحياة لم تكن أرواحهم تتوق لأكثر من السلام والحب الإلهي..عرفت فيما بعد سر اكتسابهم لمسمى يعرفون به وهو (التبليغيون)؛ لأنهم يبلغون المرء سبل السلام ويدلون له حبال النجاة، هؤلاء حملوني على أكف الضراعة والابتهالات"(المزيني، 2010،ص168)، لقد تأثر يعقوب بهذه الجماعة، التي استمالته بنبلها، فظن بذلك أنه قد بلغ طريق السلام الروحي" أحسست أنهم أعادوا لي روحي المفقودة وغسلوني من كل أدراني" (المزيني، 2010،ص169)، فهل أراد الروائي أن يحدد الميل البرئ إلى التدين بداية لمرحلة يسهل استقطابه فيها؟ فهو يقول:" إلى أن تقاذفتني موجات الجماعات متنقلاً بين كل الأفكار: سلفيين وإخوانيين وسروريين وقطبيين وجهاديين.. سوقوني كعملة نادرة بين مبادئهم وأفكارهم وعرضوني على وجهائهم وعرابيهم كم تعرض صفائح الحديد الطرية على نار لاهبة فتتشكل بلحظة بلا طرق أو تعدين إلى أن تزحلقت روحي الشفيفة في براثن القادة الانتحاريين في سبيل إعادة بناء الحضارة الإسلامية تحت راية الخليفة (أبو عبد الله) هؤلاء استعبدوني حتى صار وجهي رصيفا في طرقات العابرين بأقدام جرداء لأكتشف في رمق السؤال الأخرين أن روحي أكذوبة تسكبها سماء الغيب من كهانات أولئك الرجال.. جردوني من أسلحتي، حكمتي تجربتي واستدروا عطفي وحلبوا مدامعي، أدموا محاجري، وحقنوا روحي بهذيذ أمطار النشوة. كنت أتكسر بين أيديهم كشموع الحانات وقت اغتباطها بعهرها الليلي ومواويل ساحرة. جذبوني إلى جهنم قديم وعرضوني على جنات الخلد كرمية من حنجرة مبحوحة متدلية.. لقد لبسوني بعد أن فرغوني من سحري، كعاشق سملوا عيني وزرعوا أعينهم . صرت لا أرى إلا وميض احتراقات الأجساد وهي تزف إلى الجنة، أعطوني كل شيء جنة ونقوداً وحزاماً ناسفاً" (المزيني،2010، ص169) "هكذا نزفت مهجته بقيح معاناته وآلامه (المزيني،2010، ص 170)

بهذا الوصف تكتمل صورة المتطرف، الذي هيأته الجماعات ليكون إرهابياً عنيفاً بعدما رغبوه في الفوز بالجنة عن طريق القتل والموت الذي سيكلف بزرعه في الناس عن قناعة، لإيمانه "بأيديولوجيتهم الدينية المتطرفة، والأهم من ذلك يقينهم المطلق بصحة ما يقومون به من أعمال إرهابية "(الحيدري، 2015،ص227). ولكن صحوة الضمير تحول دون تحوله إلى إرهابي، فيتراجع، ربما لأنهم لم يستطيعوا قتل ضميره، أو لأنه لم يتشبع بالفكر المتطرف، لذلك لم يستطيعوا تحويله إلى إرهابي

فالنقص الذي عانى منه يعقوب، دفع به إلى التعويض لإشباع حاجاته النفسية، فهو لم يستطع أن يحقق ذاته إلا عبر الإشباع الروحي من خلال جماعة التبليغيين، وهم طيبون لايحبون القتل، ولكن اعترافات يعقوب بطيبها، لم يحل دون إشارة الكاتب إلى أن تلك المرحلة تمهيدية، تتطلبها المرحلة الثانية؛ فيعقوب وجد في جماعة التبليغيين دواء لعلته، فقدموا له سبل السلام وأدلوا له حبال النجاة، وهذه الحفاوة التي لقيها لديهم أغرته لأن يتعرف إلى جماعات أكثر تطرفاً، حدّد انتماءها من خلال مسمياتها، التي أوحت بأنها دخيلة على المجتمع السعودي، وهنا كانت التساؤلات الكثيرة عمن سوّق هذه الجماعات

بدأت رحلة تطويع يعقوب بعد أن خبرته الجماعة المتطرفة، ووجدته عجينة غضة، قابلة للتشكيل وفق ما يريدون، فنقلوه إلى مرحلة القادة الانتحاريين، مراحل متعددة من التطويع يمر بها المتطرف تسلب إرادته، وتسدل على عينيه غشاوة تحجب الرؤية، وتعطل التفكير، ويغدو الهدف الأساس بلوغ الجنة بقتل الآخرين. هذه هي فترة التحضير، التي يفرغ فيها الشخص من إنسانيته، ويحوله إلى أداة، تغيّب العقل والتفكير. وبهذا التصريح يفتح لنا آفاق التخييل لنعايش الأحداث التي عاشها، ونتخيل حجم الألم الذي انتاب نفسه برفقة الجماعة

كان الخوف ملازمه لذلك كان يتوسل من صديقه الاحتماء به كي لا يعود لأفكار الوحدة وتهويمات الماضي. وهنا فتح الراوي لصديقه بيت أسرار جديداً وهو عالم الكتب والقراءة، ليستمرئ حقائق كانت إلى قبيل قراءته لباولو كويلو غائمة عن عقله. (المزيني،2010، ص175)

بدأ اعتراف يعقوب باسترجاع ما اعتصر حياته من ألم، وبقي عالقاً في ذهنه، ولم يستطع نفيه من ذاكرته، فاستعاد دقائقها بكل ثقلها، وعقد العزم على تغيير ذلك كله بعد أن قرأ رواية قدمها له صديقه ليغسل بها صدأ فكره، ويغير نظرته إلى الوجود والكون، فأقسم " أن يعيد خارطة حياته وهو يردد في لحظات الطفش المستعرة داخله باستفزازات متعمدة من أقران الماضي عبارات التحدي والصمود.. أقرضته مجموعة كتب رآها وأعجبته في الفن والفلسفة والفكر.. قرأها في ثلاث ليال قال:

- سأسحق ذاكرتي المعشبة وأحرثها من جديد.

طلب مني كتباً أخرى بعينها، أخبرني أنه دونها من قائمة مراجع عثر عليها في قائمة ممنوعات كانت تعمم بين الجماعات ليل نهار، كما تعرض أرواح الفجور على أبواب جهنم مستشعرة أنفاسها الحارقة. كنت أعطيته رواية (الخيميائي) لباولو كويلو فأعادها لي من الغد مشرق الوجه مبتهج الأسارير، انفرجت من روحه شرفة تطل على شخوص يحملون أزمنتهم ويحددون أمكنتهم ، فأخذته من يده إلى مكتبتي الصغيرة المنتقاة بعناية، صافحت عيناه كل الأغلفة وقال مازحاً:

- أرجوك اتركني هنا واذهب وسأمر على مكتبتك لشهر واحد، الزمن طويل. (المزيني، 2010،ص173- 174). كان يعقوب نهما للمعرفة، عجلاً للوصول إلى حقائق كانت غائبة عنه، لذلك راودته فكرة الانطلاق والحرية (تكسير الأقفال وتمزيق الأغلال، وحرث ذاكرته المعشوشبة) ليعيد بناء نفسه من جديد. فبدأ رحلة وجوده بالعودة من الظلام إلى الانفتاح عبر القراءة، فتجاوز السكوت والحيرة والتشتت إلى اليقين، ولعل في نهم يعقوب للقراءة تكمن فكرة الرواية وفلسفتها في التأكيد على فشل الجهل والإرهاب في تغيير مايحمله الإنسان في داخله من حب المعرفة، وفي المعرفة تطهير النفس من التطرف.

لقد كانت الرغبة في امتلاك كتب لائحة ممنوعات الجماعات المتطرفة خطوة نحو نقض فكرها، والانعتاق من أسرها، وبما أن التطرف فكرة فإنها لاتهزم إلا بالفكر.

وفي هذه الأثناء وبينما يسترسل يعقوب في سرد اعترافاته، بلغ أسماعهم دوي انفجارات حي المحيا في الرياض، وأسقطت شظايا الدمار الأمر الذي ولد أسئلة لاتنتهي، ولكن يعقوب تنفس الصعداء أنه لم يقم بهذا العمل، وكان قد كلف بمهمة هذا التفجير" لولا أن السحر المعقود فك باكراً" (المزيني، 2010،ص173- 174).

صحيح أن الكاتب لم يشر إلى شخصية الإرهابي الانتحاري، ولم يحللها، بعد الاعتداء الإرهابي، وإنما اقتصر على محاكمتها فكرياً وفنياً، ومرّر رؤيته فيما آلت إليه آلة الإرهاب من قتل الأبرياء في المملكة العربية السعودية وغيرها من بقاع العالم بعد تفجيرات حي المحيا، فكان يتساءل:"متى يكف هؤلاء المجانين عن قتل الأبرياء الآمنين؟ وإلى متى تتشهى مفارز العهر الإرهابي عربدتها ومجونها على حساب جمال الخلق وإبداع الخالق؟" (المزيني، 2010، 183) فأدان الكاتب الإرهاب وحاربه فكريا، وبين فلسفته إزاءه ؛ فالإرهاب قتل للإبداع والجمال، وتشويه للخلق

والكاتب ضمنياً يفرق بين التدين وبين ادعائه الملتبس بأعمال القتل، ويصرح أن القتل يحارب بالحب والحياة، اللذين "هما الصياغة النهائية لكلمة وطن التي تعني الحياة والحب معاً"(المزيني، 2010، 187)، وهي الفلسفة التي انتهى إليها يعقوب بعد تجربته المريرة مع الجماعات المتطرفة، التي التحق بها " بحثاً عن الحياة والحب كانوا يحملون نطفته لكنه تخلق مشوهاً وخرج إلى الدنيا أشلاء" (المزيني، 2010، 188)، وبعدما خبر عقيدتهم وجد أنهم أعداء الحياة، ولايمكن البحث عن الحب لديهم، والحب فن الحياة ونحن " وقتما نفهم لغة الحب سنتعلم الحب سنتعلم فن الحياة، وسنقطع تذاكرنا في أجواء آمنة، نعيد ترميم أعصابنا المهترئة ونستلهم أرواحنا من تعويذة ساحر كي نمر من بين الخطوط الحمراء العارية (المزيني، 2006، 188)

لقد ترك الكاتب ليعقوب فسحة يتحدث فيها عن أيدولوجية التطرف من خلال الحديث عما تلقاه من تعليمات على أيديهم يعبر عن أيديولوجيتهم، التي تزرع الموت في كل مكان، يقول: " كيف لانحذر الموت الذي كنت ألبس قميصه الناسف مع إشراقة كل صبح، أتصفح وجوه ضحاياي كقائد مغوار بين يديه سلاسل قوية يقتادهم بها إلى الجنة. (المزيني، 2010، 189). فالاستعداد المسبق للعملية الانتحارية، ومراقبة الضحية والدافع إلى التفجير الانتحاري يقوم على إيمان مطلق واعتقاد راسخ بصحة مايعتقدون وخلاصاً من الدنيا للفوز بالجنة عبر القتل، فلسفة غريبة للجماعات الإرهابية، فكر فيها يعقوب مليا وردد مستنكراً (عجبت لأناس يقادون إلى الجنة بسلاسل).

ثم يسرد الراوي على لسان شخصية يعقوب ما يمكن أن يكون محاكاة حقيقية واقعية لما يقوم به الإرهابي بعد تأهيله، والمخاطر التي يمكن أن تلحق بالناس من جراء العمليات الإرهابية الانتحارية، والدور المنوط بالإنسان الحق في مواجهة الموت القادم على يد الإرهاب، فإن لم تقاوم الحياة الموت فسيختل ميزان الحياة " إن لم يفق الأحياء الأموات قاطنو مغارة عالمنا المسكون بالآلام ويقاوموا خطوات الموت والقتل القادمة على أجساد مزنرة فستطغى رائحة الموت من أولئك الذين يدفعهم طفرهم إلى ساحات الجهاد المزعومة ويفجرون الأرض من تحت أجسادهم...هم لايتشفون بالموت وحسب، بل يقتاتون من دماء الأبرياء ويقدمون أرواحهم المسكونة بالوحشية؛ بحثاً عن حب أزلي مفقود، يغسلونها من أدرانها في يوم خلاص مشهود تفتح لهم فيه أبواب الجنان حيث لاسلطان سوى سلطان الله العادل، أولئك القتلة يقدمون ضحاياهم بترتيل تعاويذ" (المزيني، 2010، 189- 190)، إن المشكلة الحقيقية في حال الإرهاب، العقيدة التي تسيّر الأفراد بلا تفكير، فيتحول قتل النفس في سبيل مايعتقدونه إلى سلم يرتقونه لبلوغ الجنة، ولاحل لهذه المشكلة إلا في تصحيح عقائدهم، وتخليص أرواحهم من وحشيتها، فالإرهابي كما وصفه المزيني يتشفى بالقتل، بل ويقتات من دماء الأبرياء، والإرهابي يقتل الآخر توقاً إلى عالم الخلود كما رسخ في ذهنه، وهي صورة نمطية على ما يعتقد به الإرهابيون، ويوجه أفعالهم. ولعدم إيمان يعقوب بهذا المعتقد نفض عنه غبار تلك الفترة التي كادت تدخله دوامة القتل والعنف. وحاول إلغاءها من عمره عن طريق كنس أكوام النفايات من سيارته، ليقطع صلته بذلك الماضي المؤلم، فاستل كيسا من مقعد السيارة الخلفي وصار يحشو داخله أوراقاً وأشرطة كاسيت وكتيبات وكتبا ومجلات غص بها الكيس، حمله وأفرغه في الحاوية واستبدل الأغاني بتلك الأشرطة التي كانت توزع لهم (المزيني، 2010، 201- 203). هذا الانقلاب الفكري أتبعه بإجراء تغيير على شكله الخارجي، وبما أن تحول شخصية يعقوب بدأت عبر الشكل كذلك كان كسر طوق الإرهاب عبر الشكل، لذلك حلق ذقنه وحف شاربه، وبعد ذلك بدأت التغيرات الداخلية الواعية، يقول يعقوب على لسان السارد "خلال حياتي البرزخية التي قضيتها في منزلي حاولت أن أغسل ذاكرتي بالقراءة، فكانت عدتي منها المعاول ومنها المقشات ذات

الأسنان الغليظة، كانت كتبك مثل بياض الطحين ورغوة الصابون وحرارة ألسنة اللهب، ولم أعد أعبأ بالزمن الذي أتقصد نسيانه" (المزيني، 2010، 206). فمعاول هدم تلك الفترة من عمره ذات قوة وخشونة لتستأصل شأفة فكرة التطرف من عقله، ولعله قصد بها القراءة التي تحيي الفكروالعقل والوجدان

ويلتفت الروائي إلى مسألة الارتهان للخارج وتمويل العمليات الانتحارية، وهذا الذي أعاد يعقوب إلى صوابه، إذ استعاد لحظات الانسحاب من ربقة الجماعة، قائلاً: " وفي اللحظات الحاسمة من اتخاذ قراري بهجر الجماعة اتصل بي أحدهم (لا أعرفه) عرف نفسه تحت اسم حركي وطلب مني البروز له في مكان حدده هو لأمر عاجل، ونفذت طلبه على الفور ولأن الوجوه دائما متشابهة لم أتفحص أو أمعن النظر، أعطاني حقيبة وطلب مني تسليمها للمظفر أحد الأسماء الحركية المعروفة وهو من حاول تجنيدي في كتيبة جهادية قوامها عشرة أشخاص" (المزيني، 2010، ص212)، يشير الروائي في مسألة التعامل بين أعضاء الجماعات المتطرفة إلى مسألة الأسماء الحركية، وكيف تمول العمليات الانتحارية بمال مدفوع من الخارج لتخريب كينونة البلد، ولذلك برر لنفسه الاستئثار بالنقود كحال بديلة عن قتل الآخرين بها

ويميز يعقوب بعد تجربته مع الجماعات المتطرفة بين التدين والتطرف فالجماعة التي تعلق بها بداية لم تكن متطرفة، وهم التبليغيون، وهم غيرأولئك، فالتبليغيون طيبون ويكرهون العنف، معلقون بالأعمال الصالحة الموصلة إلى دار النعيم وهم من حذّر يعقوب من مغبة الالتصاق ببعض المشبوهين، ولأنه كان مسلوب الإرادة انجذب إليهم دون دراية وتمحيص، حيث تزحلقت قدمه بدوامتهم وحبالهم الطويلة.. لقد حقنوه بأفكار شحنت عروقه بالهمة وروحه بالعداء، وكانوا يستهدفون إقامة خلافة الله على أرضه فلبسته هذه الأفكار إلى أن أصبح في حرزهم وتحت إرادتهم (المزيني، 2010، ص212- 213). بهذا التوصيف السردي يلخص يعقوب على لسان الراوي تجربته السابقة، ليضعنا أمام حقيقة أن المتطرف لايولد متطرفاً، وإنما يصبح نتيجة بعض المتغيرات في حياته، منها العوامل البيئية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والمعتقدات الخاطئة، ولعل في اعتناق هذه الأخيرة تتحدد عقلية المتطرف وطريقة تفكيره، وهنا وظف الروائي سمات شخصية، كالانقياد، والتهور والعداء والكره، وهي تفضي كلها إلى أفعال عنيفة لإقامة خلافة الله، التي دونها القتل والدمار، وهذه الأفكار ما كانت لتستحكم في تلك الفئات المتطرفة إلا لأنها ناتجة عن عدم فهمهم مقاصد الشريعة، بتوسعهم في الاجتهاد المقاصدي دون ضوابط منهجية وثوابت شرعية، وتفسيرهم المتعسِّف للنُّصوص (الكبيسي، 2019، ص 700)

اللغة الواصفة

تطرح الرواية من جملة ماتطرح رؤية الكاتب للتطرف، وهذه الرؤية ليست موقفاً فكرياً وحسب، بل هي تعبير لغوي، وقد غدت الرواية عملاً باللغة (مرتاض، 1998، ص100) ، ولا سيّما بعد ظهور البنيوية وتزايد الاهتمام بالدراسات اللغوية التي تولي اللغة اهتمامها، وعدّت "اللغة أساس الجمال في العمل الإبداعي من حيث هو، ومن ذلك الرواية التي ينهض تشكيلها على اللغة بعد أن فقدت الشخصية كثيراً من الامتيازات الفنية التي كانت تتمتع بها طول القرن التاسع عشر وطوال النصف الأول من القرن العشرين أيضا، إذ لم يبق للرواية شيء غير جمال لغتها وأناقة أسلوبها" (مرتاض،1998، ص100 - 101)، وهي عمل فني جميل يقوم على نشاط اللغة الداخلي ولا شيء يوجد خارج تلك اللغة (مرتاض،1998، ص 106).

جاء في الرواية: "دحرجنا أقدامنا مثل كرات ماء فلم يبد سوى هسيس القراطيس المتناثرة على الأرض، تعابثها الرياح ومواء القطط تحت السيارات المتعانقة كخرز سبحة في خيط يمتد بلا نهاية" (المزيني، 2010، ص32). بهذه اللغة التي تثقلها مداليلها يصف الشارع الذي قصده وزميله، فمنحنا صورة عن خوائه، وزمن خروجهما من خلال عيون القطط اللامعة في الظلام

وعندما يصف لحظة رؤيته لسويلم وزوجته بعد انتظار طويل قال" في لحظة زمنية هاربة من لفح الحياة كان الليل قد تمطى في روع النهار، وسكب لونه الرمادي حتى غامت حدود الأشياء وتفاصيلها" (المزيني، 2010، ص40).

ونجد هذا الوصف الدقيق للحي في زمن ليلي، يدفع المتطفلين على حياة الآخرين لنبش خباياه "في الهزيع الأخير من الليل وعند اختلاج خيوط النهار البيضاء برداء الليل الفاحم وبعد امتصاصنا لرحيقها الأول متسكعين بسيارة يعقوب، أوينا داخل السيارة إلى ثلمة مشرفة على بيت فريد، حتى طفت بين أعيننا صور مريبة نكشها الظلام الممتزج بنور باهت، كان الليل يهرم ساحباً وجهه مكفهراً أمام بهرجة الصبح القادم بعنفوان وجسارة. تدلت منه رؤوس مطأطئة متثاقلة" (المزيني، 2010، ص69)

ويقول الراوي واصفاً الحال الذي آل إليه وحيداً بعد صديقه: " تصرمت أيامي منكباً بين نثار كتب وفوضى أوراق تعيث بها أحبار مدلهمة بالأرق والملل" (المزيني، 2010، ص121) ، وعندما أراد تخليص صديقه من براثن العزلة، أتي بتعابير (السيارة المنحورة) الذي يدل على عدم استخدامها فقال: " كان بوسعي وأنا أرمق سيارته المنحورة لصق الجدار أن أهوي بيدي كلتيهما على صفحة باب بيتهم الصدىء وأهزه من عروته؛لأنتزع هذ الذي تسكنه الوحشة وحيداً في غمرة نسيان زمني مأفون" (المزيني، 2010، ص160)

ويقول على لسان يعقوب واصفاً دواخل نفسه بعد "هيا": " فبت أفتل أمشاج خيالاتي في حصار معاند لاتنفك وشائجه وسلاسله العتيدة، كنت أحملق في سمائي فلا أرى سوى غابة من رصاص تطبق على فوهة الكون، هذا الحصار أبدي ليس أهون منه سوى الموت.. تمزقت أوصال ظلالي .. بت بلا ظلال تسابقني وبلاخطوات تلاحقني، بل ذاكرة ترصد معالم الأشياء"(المزيني، 2010، ص166)

ويعبر يعقوب عن الفشل في مواجهة غياب هيا" كنت وهيا نجوب فوق بحور. لم يجذبني الموج ويطويني كصفحة من كتاب إلا ساعة أغرقها الغياب ثم أفقت على حقيقة أنني بدونهالا أجيد العوم والتجديف وليس ثمة وقت لمنازلة المياه الطافية فوقي"(المزيني، 2010، ص168)

فالروائي عبر عن حال الضياع التي يعيشها وصديقه يعقوب وهما يبحثان عن هويتهما في أمكنة مختلفة إلى أن جرفهما تياران متناقضان زمناً

لقد تحول الكاتب من السرد إلى الوصف، بلغة جميلة وبحضور لافت للرؤية، مع اعتماد وظيفة الوصف على عرض الواقع والداخلي للشخصية من قلق وحزن وحيرة وترقب.

إن اللغة التي استخدمها الكاتب مشبعة بإيحاءات تحاكي حال القلق التي عاشها الراوي وصديقه، لغة مفعمة بجمالية اللغة الشعرية

خاتمة

كشفت الرواية عن وعي يرى التطرف فكرة، تنمو وتتمدد نتيجة ظروف قاهرة ينحني لها الإنسان في فترات من اليأس والقنوط، ثم تتحول إلى قضية وانتماء، يجسدها أشخاص يتخذون مظهراً خارجيا مميزاً، ويدينون بالولاء والطاعة لزعيم الجماعة، وبما أن الروائي يرى أن التطرف فكر، كان لا بدّ من هزيمته عبر الفكر

قدمت الرواية شخصية المتطرف التي تشكلت عبر مراحل: اللهو والعبث، ثم النكوص والفشل في الحب، والانتماء إلى الجماعات المتطرفة، ثم الانقلاب عليها والعودة عنها، وفي كل مرحلة من هذه المراحل، كان يطرأ عليها تغيرات نفسية واجتماعية، شكلت في النهاية البنية الفكرية التي أفضت إلى التطرف، وقد كان لفشل علاقته بـ "هيا" الأثر الأكبر في جنوحه تعويضاً روحياً عما فقده، لذا استسلم بلا تفكير لقادة الجماعات المتطرفة.

لقد جسدت الرواية صورة المتطرف المغلوب على أمره، في شخصية يعقوب، الذي حولته ظروفه الاجتماعية والنفسية إلى شخصية متطرفة، ليكشف من خلالها أسرار تلك

الجماعات التي تتعمد الإيقاع بالأبرياء مستغلة ظروف ضعفهم وفراغهم النفسي، فتوهمهم أنها تقدم لهم الدواء الناجع. ولكن الرواية وقفت عند حد المستوى التنظيري، وتهيئة المتطرف على مستوى الفكر، مع إدانتها الإرهاب والعنف

والروائي واحد من الروائيين القلائل الذين منحوا المتطرف فرصة للحكي والسرد، وقدمها على أنها شخصية قابلة للإصلاح، وراهن على توبتها، ولذا سلط الضوء على الظروف الاجتماعية والبيئية والنفسية التي أسهمت في تشكل تطرفها، وأدان تلك الظروف، وركز في تفكيك التطرف على معالجة تلك الظروف قبل الانتقال الخطير به من مستوى الأفكار والرغبات إلى الدموية والقتل

وقد اعتمد الروائي على التجزئة في عرض الشخصية، فركز على وصف المظهر الخارجي، كتناول ملامح الوجه (اللحية) و (التلفع بالعباءة) فجعل الفصل في تمييز الشخصية الشكل، الذي يضمر الوعي المنتج للفعل، ولذلك عندما تحولت الشخصية عن الإرهاب، غيّر هذه الملامح، واستبدل شكلاً بآخر

وقد أضفى الكاتب الواقعية على الرواية من خلال ذكر الأماكن بأسمائها الأمر الذي أكسبها المصداقية. كما اعتمد على توظيف الخبر المرئي والمكتوب ليربط الرواية بالواقع، وبالقضايا السياسية والاجتماعية

ولم يفت الروائي أن يقدم صورة عن مآلات الإرهاب عبر سرد خبر انفجارات حي المحيا، وما تسببت به من الموت الجماعي والخوف، لذلك يكون الرهان على توبة المتطرف خياراً يمنح الناس الحياة. كما قدم حلولا لإشكالية التطرف وتفكيك منظومته الفكرية بجميع حججها وإغراءاتها، فاقترح بديلاً للتطرف يكون بالانفتاح الثقافي وتربية الوجدان وحب الحياة التي تصب في حب الوطن في النهاية

ومن أهم التوصيات التي تمخض عنها البحث، إفراد الفكر المتطرف بأبحاث تطرح فكرة معالجته بجرأة تتجاوز التلميح إلى العمق

قائمة المصادر والمراجع:

ايـدل، ليـون (1959). القصـة السـيكولوجية دراسـة في علاقـة علـم النفـس بفـن القصـة (ترجمـة محمـود السـمرة). المكتبـة الأهليـة.

بحراوي، حسن (1990). بنية الشكل الروائي (الفضاء -الزمن – الشخصية). المركز الثقافي العربي.

البيومي، أحمد (2003). ظاهرة التطرف الأسباب والعلاج. دار المعرفة الجامعية.

الجهيني، أحمد و محمد، مصطفى (2007). الإسلام والآخر. مكتبة الأسرة.

حبيلـة، الشريـف (2010). الروايـة والعنـف دراسـة سوسـيولوجية نصيـة في الروايـة الجزائرية المعـاصرة. عالم الكتب الحديث.

الحسـناوي، حسـنين علي و الخالـدي، نبيـل عمـران مـوسى (2022). التطـرف الفكـري وأثـره على هويـة الشـباب الجامعـي. . رؤيـة سوسـيولوجية. مجلـة جامعة واسـط لارك للفلسـفة واللسـانيات والعلوم االجتماعيـة، *1*(44)، (508- 530). https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss44.2237

الحميداني، حميد (1991). بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي. المركز الثقافي العربي.

خليفـة، محمـد سـعد كمـال (2009). اللغـة وتقنيـات البنـاء القـصصي. معهـد البحـوث العلميـة مركز بحـوث اللغة العربيـة وآدابهـا جامعـة أم القرى.

ضويو،عبـد العزيـز (2014). التجريـب في الروايـة العربيـة المعـاصرة دراسـة تحليليـة لنصـوص روائيـة حديثة. عالم الكتـب الحديثة .

عبـد السـتار، لـيلى(1992). تنميـة التفكير السـليم لدى الشـباب الجامعـي لمواجهة التطـرف- دراسـة تحليلية. مجلة دراسـات تربوية، *7*(43)، 187- 214.

عثمـان، إسـماعيل صديـق (2017). التطـرف والتعصـب الـديني أسـبابه وعواملـه المؤديـة إليـه. مجلـة السـاورة للدراسـات الانسـانية والاجتماعيـة، (5)، 247- 291. https://doi.org/10.51993/2221-000-005-002

القـاضي، محمـد و الخبـو، محمـد و السـماوي، أحمـد و العمامـي، محمـد و عبيـد، علي و بنخـود، نورالديـن و الـنصري، فتحـي و ميهـوب محمـد (2010). معجـم السرديـات. دار الفـارابي.

لتمان، يوري (1986). مشكلة المكان الفني المكان والدلالة (ترجمة سيزا قاسم). مجلة ألف، (6)، 59- 86.

الكبـيسي، أحمـد عبـد الكريـم (2019). التفـسير المقاصـدي وأهميتـه في تأصيـل الحـوار مـع الـغير. مجلـة جامـة الشـارقة للعلـوم الشرعيـة والدراسـات الإسلاميـة، *16*(1)، 700- 730. https://doi.org/10.36394/jsis.v16.i1.25

مرتـاض، عبـد الملـك (1998). في نظريـة الروايـة. سلسـلة عالـم المعرفـة، (240)، المجلـس الأعلى للثقافـة والفنون والآداب.

المزيني، محمد (2010). عرق بلدي (ط2). الانتشار العربي.

الترجمة الصوتية لمصادر ومراجع اللغة العربية: Romanized Arabic References:

aydl luyūn (1959). alqiṣṣatu al-saykūlūjiyyatu dirāsatun fī 'alāqati 'ilmi al-nafsi bifanni alqiṣṣati)tarjamati maḥmūdi al-samurati almaktabatu al'ahliyyatu

baḥrāwī ḥasan (1990). binyatu al-shakli al-riwā'iyyi) alfaḍā'u - al-zamani –al-shakhṣiyyati almarkazu al-thaqāfiyyu al'arabiyyu

albayūmiyyu 'aḥmadu (2003). ẓāhiratu al-taṭarrufi al'asbābu wa-l-'ilāju dāru alma'rifati aljāmi'iyyati

aljuhayniyyu 'aḥmadu w muḥammadun muṣṭafā (2007). al'islāmu wa-l-'ākharu maktabatu al'usrati

ḥabīla al-sharīfi (2010). al-riwāyatu wa-l-'unfu dirāsatun siwsuyūliwwajya naṣiyyatun fī al-riwāyati aljazā'iriyyati almu'āṣirati 'ālamu alkutubi alḥadīthi

alḥasnāwiyyu ḥsnyn 'ly w al-khāldy nabīl 'mrān mwsā (2022). al-taṭarrufu alfikriyyu wa'atharuhu 'alā hū'iyyati al-shabābi al-jām'y . ru'uyatun swsyūlūjiyyatin mijallatu jām'a wāsṭ lārk lil-falsafati wa-l-lsāniyyāt wa-l-'ulūmi āljtmā'iyya 1(44)530 508-) ،). https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss44.2237

al-ḥmydānyy ḥumaydin (1991). binyatu al-naṣṣi al-sardiyyi min manẓūri al-naqdi al'adabiyyi almarkazu al-thaqāfiyyu al'arabiyyu

khalīfatu muḥammadu sa'di kamālin (2009). al-lughati wataqanyātu albinā'i alqaṣaṣiyyi ma'hadu albuḥūthi al'ilmiyyati markazu buḥūthi al-lughati al'arabiyyati wa'ādābihā jāmi'atu ummi alqurā

ḍīw'abdi al'azīzi (2014). al-tajrību fī al-riwāyati al'arabiyyati almu'āṣirati dirāsatun taḥlīliyyatun linuṣūṣin riwā'iyyatin ḥadīthatin 'ālamu alkutubi alḥadīthati.

'abdu al-sattāri laylā tanmiyatu al-tafkīri al-salīmi ladā al-shabābi aljāmi'iyyi limūājahati al-taṭarrufi- dirāsatun taḥlīliyyatun mijallatu dirāsātin tarbiwwaya 7(43).214 187- ،

'thmān 'ismā'yl ṣdyq (2017). al-taṭarrufu wa-l-ta'aṣṣubu al-dīniyyu 'asbābuhu wa'awāmiluhu almu'uaddiyati 'ilayhi mjla al-sāwra lil-dirāsāti alinsāniyyati wa-l-iājtimā'iyyati (5)291 247- ،. https://doi.org/10.51993/2221-000-005-002

alqāḍī muḥammadun wa alkhabw muḥammadun wa al-samāwiyyu 'aḥmadu wa al'imāmiyyu muḥammadun wa 'ubaydun 'aliyyun wa bankhūdin nūrāldayni wa al-naṣriyyu fatḥī wa mayhūbu muḥammadun (2010). mu'jama al-sardiyyāti dāru alfārābiyyi

litamān yūrī (1986). mushkilatu almakāni alfannī almakānu wa-l-dalālatu) tarjamati sīzā qāsimin mijallatu 'alfin (6).86 59- ،

alkabīsiyyu 'aḥmd 'abdi alkarīmi (2019). al-tafsīru almaqāṣidiyyu wa'ahmiyatuhu fī ta'aṣīli alḥiwāri ma'a alghayri mijallatu jāma al-shāriqati lil-'ulūmi al-shar'iyyati wa-l-dirāsāti al'islāmiyyati

16(1)730 700- ،. https://doi.org/10.36394/jsis.v16.i1.25

murtāṣin ‘abdu almaliki (1998). fī naẓariyyati al-riwāyati silsilatu ‘ālami alma‘rifati (240)، almajlisu al’a‘lā lil-thaqāfati wa-l-funūni wa-l-’ādābi

almazyiniyya muḥammadin (2010). ‘irqun baladiyyun) t2 .(aliāntishāru al‘arabiyyu

The Image of the Extremist in the Novel Araq Baladi by Muhammad Al-Muzaini: Between Formation and Disintegration
Between Genesis and Disintegration

Laila Shaaban Radwan[1]

Abstract:

The research aims to explore the image of the extremist in the novel Araq Baladi by Mohammed Al-Muzaini, which is presented narratively in an Artistic and creative framework. The novel focuses on the external form and its reflections within the individual's inner self, highlighting the causes and motivations that lead a person to extremism and disassociation from his past, ultimately joining a group with which they identify, only to later rebel against them once they realize the truth about extremism and its consequences. The research aims to explore the character of the extremist, starting with their frivolous and failed upbringing, shaped by various factors that lead them to extremism, followed by their eventual detachment from it. The study analyzes this phenomenon, demonstrating how it forms and disintegrates, and examines the ways to confront it as presented by the novelist. The research also seeks to uncover the novelist's perspective on the concept of extremism and the effects of employing it to raise awareness in society about this dangerous phenomenon. The novelist emphasizes the importance of addressing extremism before it progresses from mere words to actions, through culture, art, and love.

Keywords: Extreme, Extremist, Formation, Disintegrate, Docility and dependency.

(1) College of Arts - Imam Abdulrahman Bin Faisal University (Dammam – K.S.A.)
lrodwan@iau.edu.sa